دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

ميلاد ابن الله

ورجوع آدم وذُرِّيته إلى الله

الأب متى المسكين

كتاب: ميلاد ابن الله ورجوع آدم وذريته إلى الله.
المؤلف: الأب متى المسكين.
عظة أُلقيت مساء عيد الميلاد المجيد ٧ يناير ٢٠٠١م
على رهبان دير القديس أنبا مقار برية شيهيت.
الطبعة الأولى: يناير ٢٠١٥ (هدية مجانية)
الطبعة الثانية: ٢٠١٨
الناشر: دار مجلة مرقس
ص ب ٣١ شبرا القاهرة
مطبعة دير القديس أنبا مقار – وادي النطرون
ص ب ٢٧٨٠ القاهرة
جميع الحقوق محفوظة للناشر

يُطلب من:
دار مجلة مرقس
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا – تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤
الإسكندرية: ٨ شارع جرين – محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠
أو من مكتبة الدير
أو من خلال موقع الدير على الإنترنت:
www. stmacariusmonastery. org

ميلاد ابن الله ورجوع آدم وذُرّيته إلى الله[1]

عيد سعيد ومبارك عليكم، على الأرض وفي السماء.

سأقرأ وأشرح كل آية أرى شرحها.

عيد على الأرض وفي السماء

إنه عيد علي الأرض وفي السماء، لأن أول بُشْرَى وصلت إلى الأرض بعيد الميلاد كانت على الأرض وفي السماء، بل وبالتحديد كانت في السماء أولاً، ثم على الأرض ثانياً. إنه **عيد الآب، عيد الآب في السماء، وعيد الناس على الأرض**، لذلك مجَّدت ملائكة الجند السماوي قائلة، أول ما في بُشرى الميلاد: «**المجد لله في الأعالي**»، ثم «**على الأرض السلام**»، ثم «**الناس تُسَرُّ**» أو «**في الناس المسرة**». فهو عيد فرح في السماء وعلى الأرض، إنه عيد مجد الله الآب في السماء كما أنه مجدٌ للناس على الأرض. لأنه لأول مرة يسمع الناس فيها أنه يكون للإنسان مجدٌ، مجد سماوي، كما قال المسيح للآب في صلاته: «وأنا قد أعطيْتُهم المجد الذي أَعْطَيتَني» (يوحنا ١٧: ٢٢)، أي سنكون شركاءَ في المجد في المسيح يسوع لله الآب.

١- عظة أُلقيت مساء عيد الميلاد المجيد ٧ يناير ٢٠٠١م.

المحبة أولاً

هذا هو افتتاح الكلام اليوم، وأبدؤه بالآية المعروفة: «**هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كلُّ مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية**» (يو٣: ١٦).

أحب الله العالم، عالم الإنسان الذي لُعنتْ الأرض بسببه، فصار هو العالم المتألم جداً. الآب أرسل الابن ليُعطي للأرض السلام «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد». البذل معروف أنه هو صَلْب المسيح، ولكن اليوم سوف نفهم أن هذا البذل، أول بَذْل، كان في السماء قبل أن يكون على الأرض! **الابن أَخلى ذاته قبل أن يتجسد. ولكي يتجسد، أَخلى ذاته.** الإخلاء كان هو أول البذل في السماء، والإخلاء كان أنه أَخلى ذاته من مجده، أي بَذَلَ منتهى البذل لكي يستطيع أن يؤدي الرسالة التي سوف يؤديها. وكون الابن يتخلَّى عن مجده فهذه كانت ضرورة مطلقة، لأنه لو تجسد بمجده، فما كان أحد يستطيع أن يراه أو يسمعه لأن مجد الله أمر هائل، العين لا تقدر أن تراه ولا أنْ تحيط به. **فلكي يظهر أمام الناس، تجسَّد، ولكي يتجسد كان لابد أن يخُلي ذاته**، لذلك قيل: «**أخلى نفسه**» (في ٢ : ٧) من مجده، وكانت هذه أول وأهم خطوة في البذل، أحب الله العالم حتى «بذل» ابنه. فالبذل كان نتيجة، المحبة وظَهَرَ أنَّ المحبة كانت سابقة، لأنه «**أَحبَّ ثم بَذَل**»، **فالمحبة هي أولاً، وهذا ما سأركِّز عليه اليوم.**

محبة الله للعالم هي محبة للإنسان

واضح أن محبة الله للعالم هي للإنسان، ومحبة الله للإنسان هي التي هيأت للابن أن «**ينزل**» أي «**يبذل**» لكي «**يتجسَّد**». فالمحبة هي الدافع القوي جداً. محبة الله للعالم هي للإنسان، وكانت هي الدافع الأساسي أن يتنازل الابن عَن حضن الآب وينزل لكي يُتمِّم الخلاص من الموت. وأهم عمل في الرسالة كان **أن يرفع الهلاك عن الإنسان، ولكن يرفعه فقط عن الذين سيؤمنون بالآب أنه أرسل الابن، فيؤمنوا بالابن أنه مُرسَل من عند الآب**: «**مَنْ يَثْبُتْ في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعاً**» (٢يو ١: ٩)، «ومن ينكر الابن ليس له الآب أيضاً، **ومَنْ يعترف بالابن فله الآب أيضاً**» (١يو ٢: ٢٣). هنا رفْعُ الهلاك عن الإنسان يستلزم ضرورة **الإيمان بالآب، والإيمان بالبذل، وبإرسال البُنوَّة الوحيدة التي للآب إلى العالم.**

فيوم الميلاد كان هو يوم التجسُّد. فحينما نتكلم عن الميلاد، فنحن نتكلم عن عيدنا لأنفسنا، فنحن حينما نُعيِّد للميلاد، فنحن في الحقيقة نُعيِّد لأنفسنا. لأن التجسد حدث في جسدنا نحن، فالمسيح أخذ جسد الإنسان، فكونه يتجسد معناه أننا **صرنا موضوع التجسُّد**. كما قال بولس الرسول بمنتهي الوضوح: «**أنتم جسد المسيح**» (١كو ١٢: ٢٧). فالبذل كان أول خطوة التي انتهت بعد ذلك بالصليب. فبالصليب أكمل **البذل**، بعد أن ابتدأه **بالإخلاء**.

يوم الميلاد محسوب أنه بداية قصة خلاص الإنسان وعودته إلى الله

فيوم الميلاد محسوب أنه بداية **قصة خلاص الإنسان وعودته إلى الله**، أو هو ما أوضحتُه اليوم أن نأخذ الميلاد لأنفسنا، فيُصبح عيداً ليس لكل الناس، بل هو عيد الذي يؤمن بالابن وله به اتصال فحسب.

بميلاد المسيح، **دخل الإنسان في دائرة الله**. لأن ابن الله أخذ جسد الإنسان، فأصبح للإنسان صلة أساسية بالآب والابن. الآية اللاهوتية الكبرى جداً قالها بولس الرسول: «**فإنه فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً**» (كولو ٢ : ٩). فلكي يتجسد الابن الوحيد، فكان لابد أن يكون «**في ملء اللاهوت**». فالابن بكامله تجسَّد، **ولكن ظل هو الابن الوحيد الذي في حضن الآب: نور من نور، إله حق من إله حق.**

أما بقية الآية فهي جميلة جداً: «**وأنتم مملوؤون فيه**»، فليس هو فقط احتوى الجسد، بل نحن صار لنا نصيب كبير في «**ملء اللاهوت**» أي في ملء لاهوت المسيح. صار في الجسد، فصار جسدنا «**مملوءًا فيه**»، أي أصبحت لنا شركة أساسية في جسد المسيح، أي إنه لما تجسَّد المسيح في الإنسان فإن فيه قد حلَّ ملء اللاهوت جسدياً، ونحن مملوؤون فيه، وهكذا أصبح ميلاد المسيح أو عيد الميلاد هو عيد لنا في المسيح، عيد مِلْئِنا في المسيح، مِلْئِنا في الآب والابن، لأن الذي نأخذه من ملء المسيح

نأخذه وهو في ملء لاهوته. فكما قال وكما عمل هذا الاتصال البديع، قال: «**أنتم فيَّ، وأنا فيكم**» (يو١٤: ٢٠)، **أي أنا في جسدكم وأنتم في لاهوتي** «**مملوؤون فيه**». فالصلة الإلهية بالإنسان حدثت اليوم في يوم الميلاد.

فهذا عيد ميلاد على الأرض وفي السماء فنحن دخلنا في دائرة اللاهوت، دخلنا **في** دائرة الآب والابن، هو أصبح **فينا** ونحن أصبحنا **فيه**. تأمل هذا الاتحاد العجيب الذي يعني أنه منذ يوم التجسُّد **صار الإنسان واحداً في المسيح**. وبعد ذلك استخرج المسيح من هذا كلاماً صعباً يفوق أفهامنا لا نقدر أن نفسِّره قال: «**أنت أيها الآب فيَّ، وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا**» (يو ١٧: ٢١). تقول لي: «**اشرَحْ**»! أَردُّ: «**لا أقدر أن أشرح ولكن أقول لك: اِفْهمْ**». فهنا دخول الإنسان اليوم في دائرة الآب والابن.

فإن أردتَ أن تفهم، فافتح قلبك
واجعل ذهنك مفتوحاً لكلام المسيح

هذه عجيبة، عجيبة جداً لا يمكن تفسيرها ولا شرحها، فقط نفهمها، لأن كلام المسيح كلام حلو يدخل في القلب وليس في العقل لمن يريد أن يفهم. **أما لمن يريد شرحاً فليس له شرح**. لأن الذي يريد أن يفهم

سوف ينال فهماً، فإن أردتَ أن تفهم، فافتح قلبك واجعل ذهنك مفتوحاً لكلام المسيح لأن الكلام بديع: «**مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية**» (يو٥: ٣٤)، أي بمجرد أن نسمع كلامه ونؤمن بالذي أرسله فهو يصير لنا حياة أبدية مع المسيح الابن ومع الآب. هو كلام بديع لمن يريد أن يفهم. **أكررها مرة ثانية، لأن هذا هو مفتاح الإنجيل، ومفتاح الإيمان، ومفتاح الخلاص والحياة الأبدية. الذي يريد أن يفهم سوف يأخذ، أما الذي يريد أن يفسِّر ويشرح ويجمع كتباً وملخصات وتخريجات فلن يأخذ شيئاً**. لقد قال «**مَنْ يسمع كلامي**»، ولم يقُلْ «**مَنْ يفهم كلامي**»، بل «**مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة**» (يو٥: ٣٤). هل الذين يقولون «أنا الخاطئ» «أنا الخاطئ اغفر لي». ويوم تدخل الرهبنة أول حاجة يعلِّمونها لك أن تقرع صدرك وتقول: «أنا الخاطئ أنا الخاطئ أنا الخاطئ»، ليَكُنْ، ولكن أين هذا من كلام المسيح: «**مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلي دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة**». لم يَقُل أن تقرأ تفسيرات، لم يطلب فَهْماً، ولا أن ترجع لكتب لشرح الإنجيل بدعوى أن الإنجيل إنجيل صعب جداً، كثيرون يقولون: كلام الله صعب ومحتاج لتفسيرات. المسيح لم يقُل مثل هذا الكلام أبداً، بل قال: «**من يسمع كلامي**»، يسمع أي **بسَمَع الأُذن، إن كانت أُذُنك متَّصلة بقلبك فخلاصك قريب**، ولكن إذا كانت أُذنك مُتَّصلة بعقلك، فحينئذ لابد من الكتب، من وجهة

نَظَرك. ولكنه يقول: «**مَنْ يسمع** كلامي **ويؤمن** بالذي أرسلني». وحينما يقول: «**أنا فيكم وأنتم فيَّ**»، فهذه حقيقة مطلقة **EPSO FACTO**، إنها حقيقة واقعة، إنها تعني أن تؤمن بالمسيح: «**مَنْ آمن واعتمد خَلُص**» (مر١٦: ١٦). وبعد أن نعتمد، هل لابد من دراسة اللاهوت؟ لا. بل هنا يلزم **البَصَر، أي الرؤية**، إذا رأيتَ تكون قد آمنت، وإذا آمنتَ تكون قد خَلصتَ. فلما يقول «**مَنْ آمن واعتمد خلص**» فهذه حقيقة مسيحية، حقيقة الإيمان، التي للأسف ما عاد لها وجود ولا اعتبار في حياة الناس.

لابد أن يكون عندك بصيرة، والبصيرة هي الوعي الروحي. لذلك أنت تقف لتصلى وتقول: «**أنا لا أفهم، فأنت يا رب تُفهِّمني. أنا لا أعرف فأنت تُعرِّفني، لأنك أنت الكلمة، والكلمة مَنْ الذي يفهمها غير الله؟ فأنت الذي تُفَهِّمها لي**».

حينما تركتُ بيتنا في العالم ودخلت الدير (عام ١٩٤٨)، لا كان لي أب، ولا كان لي أخ، ولا كان لي صديق، ولا كان لي زائر يزورني. وهكذا صرت أُصلي وأُصلي، وأقول له: يا رب عَبْدك غشيم، على الأقل مش متخرِّج من إكليريكية، ولا متخرَّج من مدرسة لاهوتية، ولا قرأت في علم اللاهوت، فأنتَ علِّمْني. أنا أتيت إليك فأنت الذى تفتح قلبي، وأنت الذى تُعلِّمني، وفعلاً علَّمَني، وعلَّمَني. ولما علَّمَني ها أنتم ترون: أكتب، وأتكلم، وأعمل، ولكن لا أحد علَّمني، بل هو الذي علَّمني. انظروا! لقد

أتيت للدير هنا، وبنيتُه لكم بقلاياته، بالمائدة الكبيرة وبكل ما يمكن أن يجعلكم تعيشون وتعملون ما عملتُه أنا. وكما قلت لكم: لا أنا دخلت إكليريكية ولا فتحت كتباً لاهوتية ولا درستُ شيئاً أبداً، ولكن صلَّيتُ لله وقلت له: «أنت الذي تُعرِّفني وأنت الذى تُعلِّمني». وصرت أقرأ الآية: «**مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني**»، قلت: «يا الله، وهل بعد ذلك يوجد شيء؟» إذن سأقرأ، وأسمع، وأجعلها تدخل داخل قلبي المرة تلو المرة. وإذا، بالكلام يدخل **داخل قلبي وليس داخل عقلي**. من العسير عليَّ أن أحفظ غيباً الآية وموضعها في الإنجيل، مع أني أكون قد ذُقتُها وشربتُ منها وشبعتُ منها. أن أدرس وأكتب وأسهر في الكتابة شيء، ولكن أن تقرأ لكي تفهم فهذا شيء آخر. فإذا أنت قرأتَ لكي تفهم، فستقدر أن تُعلِّم ولكن ممكن أن شخصاً أُمِّياً أو راهباً أُمياً أو إنساناً بسيطاً تسمعه، فيبتهج قلبك وتفرح فرحاً عظيماً، وتؤمن بهدوء. هذا الإيمان أتاك من الروح. الروح يُفهِّم القلب، ولكن ليس العقل.

صرنا مختارين في المسيح يسوع

نرجع مرة أخرى للكلام الحلو الذى قلناه: نحن دخلنا فيه بلاهوته، دخلنا فيه بالجسد، وهو دخل فينا بلاهوته، يعنى صار لنا الجسد الذى أخذه ابن الله من العذراء القديسة مريم والروح القدس، صار جسداً يمتُّ للإنسان بِصِلة، وكُتب أنه من نسل داود. هو قدوس وبلا عيب، وقداسته هذه جعلتنا قديسين وبلا عيب. هل تريد أن تصير قديساً وبلا

عيب، اِمسِك في المسيح. إنما كونك تجاهد وتصلى لكي تصير قديساً دون أن تُمسك في المسيح القادر أن يجعلك قديساً، فهذا لن يوصِّلك إلى شيء، لأنه هو القدوس، وهو الذى يجعلك قديساً فى المسيح يسوع. ولقد قالها الله في العهد الجديد: «**كونوا قديسين لأني أنا هو قدوس**» (١بط ١: ١٦).

كيف يمكن أن تقبلنا يا رب؟ (الرد: **اِمسكْ فيَّ**)، حتى وأنا صاعد إلى فوق آخذك معي. هذا ما قاله بولس الرسول في رسالة أفسس: «**مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح**» (أفسس ١: ٣). هذه البركة هي «**باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح**». إذا كنت تريد أن تأخذ بركة، فالبركة هي من المسيح، هي الوحيدة التي تُوصِّلك للآب. بركة الناس لا تسري إلا في الأرض فقط، وأما بركة ربنا يسوع المسيح فقد أتى هو خصيصاً ومعه هذه البركة لكي يعطيها لنا، ولكي يأخذنا نحن معه، ذلك لأننا صرنا فيه وهو فينا.

فكون أنك تمسك في المسيح يسوع فهذه هي البركة التي باركنا بها الله في ربنا يسوع المسيح، الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات قبل خلقة العالم، أي قبل خلقة آدم: «باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم». إذن، فنحن صرنا مختارين في المسيح يسوع، قبل خلقة آدم، وقبل إنشاء العالم.

ما هذا الذي حدث لآدم

أهكذا نحن صرنا مُبارَكين في المسيح يسوع منذ الأزل ومختارين في المسيح يسوع قبل إنشاء العالم؟ إذن، فما هذا الذي حدث لآدم، وما هذه الخطايا كلها؟ التراب تراب، ولكنك سوف تدخل السماء، **ولكن لابد أن تَغتسل بالدم أولاً**، لأنك سترتفع إلى **فوق**، **فوق لكي تشارك السمائيين**. فالتراب يخطئ، نعم وطبعاً يخطئ، لماذا؟ لأنك تراب، ناقص، لكن هذا التراب دبَّر الله له في الخطة الأزلية أنه **يُبارَك**، وأنه في المسيح يسوع **يُختار**، أي يصير **مُختاراً**. أنتم مختارون لأنكم مع رب الأرباب وملك الملوك ومدعوون (رؤيا ١٧: ١٤). اِقبَل الكلام لكي يثبت فيك، ولا تستكثر على نفسك الكلام، بل خُذْ هذا الكلام ليدخل داخلك على حقيقته، فتصير ضمن المختارين في المسيح يسوع، وتقف لتقول له: أنا مختار فيك، يا رب، لذلك أَرِني، لابد أن تُعرِّفْني، لابد أن أشعر بحبك، لابد أن تهديني الطريق المستقيم، لابد أن تُعرِّفني أسرارك. ولما أُصلِّي يا «ربي يسوع المسيح»، أو يا «أبو ربنا يسوع المسيح»، ولما أقرأ كلام ربنا يسوع المسيح، اِفتَحْ قلبي لكي أفهم، لكي أستطيع أن أصل إلى فوق. أنا تراب فلابد أن أغتسل، أغتسل بالدم.

إشعياء النبي وما حدث له

هل تذكرون إشعياء النبي؟ لما مات عُزِّيا الملك، يقول إشعياء النبي: «رأيتُ السيد جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع، وأذياله تملأ الهيكل. السيرافيم واقفون فوقه، لكل واحد ستة أجنحة، باثنين يغطي وجهه، وباثنين يطير. وهذا نادى ذاك، وقال: **قدوس قدوس قدوس رب الجنود. مجده ملء كل الأرض**» (إش ٦ : ١ - ٣). فجاءت له غيرة.

ثم هذه قصة أنا أسردها من عندي للتوضيح وهى ليست في النص، فقال: أُسبِّح معهم بينما هم يقولون: قدوس قدوس قدوس، فحاول أن يقول، لكنه وجد نفسه غير قادر أن ينطق «**قدوس**»، فقال: «**ويلي قد هلكت**» أنا غير قادر أن أُسبِّح، ولا قادر أن أفتح فمي باسم الله، «لأني أنا نجس الشفتين وساكن بين شعب نجس الشفتين» فمن أين لي الخلاص؟ من أين؟ فطار إليَّ واحد من السيرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح (أى جسد المسيح)، ومسَّ بها فمي. وقال: إن هذه قد مسَّت شفتيك، قد انتُزع إثمك وكُفِّر عن خطيتك» (عدد ٤ - ٧). فانطلق إشعياء، وكَتبَ وسبَّح ومجَّد. وهو الذي قال: «**إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس**» (إش ٢٦: ٨). إشعياء هذا كان فى العهد القديم وليس في العهد الجديد، وها هو يخاطب الله: **إلى اسمك وإلي ذكْرك شهوة النفس، بنفسي اشتهيتُ في الليل، أيضاً بروحي في داخلي إليك أبتكر**» (إش ٢٦: ٨و٩). هذا هو إشعياء، واحد من أنبياء العهد

القديم، يقول هذا الكلام إنه **اشتهى المسيح، واشتهى اسمه**، وقال: طول الليل أُسبِّح لغاية الفجر، وبعد الفجر أقوم أُسبِّح أيضاً.

هذا واحد من أنبياء العهد القديم يقول: «قدوس قدوس قدوس». طول الوقت نقولها بقوة، بالفم المليان: «قدوس قدوس قدوس» مع السيرافيم ومع الجند السماوي ومع الملائكة بصوت قوي. ولماذا؟ لأننا أخذنا القدوس: «**أنتم الذين اعتمدتم، قد لَبستُم المسيح**» (غلا ٣: ٢٧). نحن لابسون الرب. يقول القديس بولس الرسول: «**أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ**» (غلا ٢: ٢). قَوْلُ: «قدوس قدوس» نقولها ونزيد، نحن أعلى من الملائكة، صدِّقني، أعلى من الملائكة، أعلى من السيرافيم، نعم أعلى من السيرافيم، لماذا؟ لأننا لابسون الرب يسوع المسيح. المسيح يُصلِّي للآب ويقول: «**وأنا قد أَعْطيتُهم المجد الذى أَعْطيتَني**» (لو ١٧: ٢٢). فلذلك نقول: «**قدوس قدوس قدوس**»، ونزيد، نقولها طول الليل ولغاية الفجر، ونقولها في الفجر ونحن فرحانين ومُهلِّلين. ولا الليل يؤثر فينا، ولا النهار يمنعنا.

المحبة والاختيار والتقديس أعطاها لنا في المسيح

آه، وجدتُ الكلام حلواً. لما يقول: «**اختارنا فيه قبل تأسيس العالم**» (أف١: ٤)، وجدتُ الكلام حلواً لما يقول «**كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قُدَّامه في المحبة**». أنا أقرأ لا مجرد آيات

في الإنجيل، بل أتكلم عن الخطة الأزلية التى أكملها الآب مع الابن من أجلنا قبل إنشاء العالم. إن أردتَ أن تفهم، فافهم، أو ليت الرب يعطيك فهماً لكل الكلام الذى قلناه من قبل «كما اختارنا فيه (في المسيح) قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة» (أف ١: ٤).

كيف اختارنا «**في المسيح**»؟ معناه **اتحادنا بالمسيح بسبب التجسد أى هو فينا ونحن فيه**. أى أننا بالتجسد أخذنا المسيح لكي نقف ونحن بحال «**قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة**»، وأية محبة؟ **إنها محبة الآب**. يقول المسيح في صلاته للآب: «**عرَّفتُهم اسمك وسأُعرِّفهم**» (يو ١٧: ٢٦). «**وسأُعرِّفهم اسمك**» في هذه الأيام الحاضرة. ويكمِّل: «**ليكون فيهم الحب الذي أحْبَبتني به، وأكون أنا فيهم**»، ليكون فيهم **حُبٌّ** مُطلقاً ، هو **حُبُّ الآب للابن**. هل هذا معقول؟ إنه المسيح الذي يقول «**أنا سأُعرِّفهم اسمك**» أي اسم الآب الذي لم يكن أحد في العهد القديم يقدر أن ينطقه. أما في العهد الجديد فلابد أن اسم الآب يرتفع في فمك الليل والنهار. «**سأُعرِّفهم اسمك**» اسمك يعني ذاتك، وجهك، «**سأُعَرِّفهم ذاتك**»، «**ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به**»، **الحب، الحب** الذي به أَحبَّه الآب وهو كابن سيعطيه لهم، وأضاف: «**وأكون أنا فيهم**» (يو١٧: ٢٦). يقول القديس بولس: «**أنتم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح**» فأصبح من حقنا الرسمي بوساطة الابن وخِتْمه **أن يبقى فينا حُبُّ الآب، فمحبة الآب هي رأسمالي**. محبة الآب لنا تقف معنا طول النهار والليل، وابن الله هو الذى قال لنا:

ليس إنك أنت الذى تحبني، بل: «**كما أحبني الآب كذلك أحببتُكم أنا**» (يو١٥: ٩).

ولكن أين علامات الحب يا أبي السماوي؟

ولكن أين علامات الحب يا أبي السماوي؟ أنا إنسان تائه وإنسان حزين يبكي، وإنسان ليس لي نِفْس أي ليس لي رغبة، أنا أفتح الإنجيل بالعافية، فأين هو حُبُّك؟ لقد فُقد، أين نصيبي السماوي؟ أهملتَه. نعم، ميراثك الذي أعطاه لك المسيح تركتَه. لم تسأل عنه. إفرض أن شخصاً له ميراث عشرة آلاف فدان وأبوه كتبها له، ثم أن هذا الإنسان لم يبحث أين هذه الأرض؟ أين هي ليأخذها، فإذا بآخر يستولي عليها. **محبة الآب كلها لك. وإلاَّ فلمن محبة الآب؟** إنها للابن. يعنى أنت أصبحت بالتجسُّد على مستوى الابن في **نوال محبة الآب؟** نعم، لأنه **هو فينا ونحن فيه**، فلو أخذنا الحب، فسوف **نأخذه على مستوى أخْذ الابن**. إذن، سوف نقف قدام الآب وكأننا «**قديسون وبلا لوم قُدَّامه في المحبة**»، وإلا لماذا هو أخذ جسدنا ونحن أخذنا ملئَه، أو دخلنا في ملء لاهوته؟

إذن، ما دام هو فينا **ونحن فيك يا رب**. فأيَّ عيد ميلاد هذا؟ إنه العيد السعيد. إذن ألا ينبغي أن نُعيِّد على بعضنا البعض **ونحن فيه؟**

لماذا أحب الله العالم؟

ولكن الذي يُعْوزنا أن ندركه ونتأمل فيه هو: **لماذا «أحب الله العالم»**؟ نحن نعرف أن الله غضب على آدم، ولعن الأرض بسببه، بوحوشها وحيواناتها وبمائها، وبسمائها، كلها لُعِنت. والعالم لُعِن. فكيف **«أحب الله العالم»** هنا سرّ، ليس هو لغزاً نستطيع أن نتأمله، بل هو سرٌّ من الأسرار الرهيبة، إنه سر رهيب: إنه **«هكذا أحب الله العالم»**. ما هو هذا السر؟ ولماذا **«أحب الله العالم»**؟ وهو عالمُ الإنسان الذي غضب عليه يوم أن غضب على آدم وطرده من وجهه فكيف أَحَبَّه؟ كيف **«هكذا أحب الله العالم»**؟ لأن هذه هي القضية المهمة، لأننا نحن في العالم ونريد أن نعرف **لماذا أحبنا الآب؟** نحن الذين لُعنت الأرض بسببنا، ثم أعطتنا وأطعمتنا المر والشوك والحسك، وكل يوم نحن في ضيق واضطهاد وتعب وحزن وألم، وندفع ثمن وجودنا على الأرض. ثم تقول: **«هكذا أحب الله العالم»**، فكيف يا أبونا، فسِّر أقوالك.

خلقة الإنسان على صورة الله وشَبَهِه، ومعناها

لو نعود إلى **كيف خلق الله الإنسان في اليوم السادس**، فبعد مرحلة التدبير الأزلي في فكر الله، ها نحن سندخل في الخِلْقَة. إنتبه! لأن هنا الاتصال الوحيد ما بين إنه: **«باركنا بكل بركة روحية في السماويات»**، وبين أنه طردنا وذهبنا إلى الأرض التى لعنها الله بسببنا. أين الصلة المقطوعة هنا؟

أبداً سأُثبت لك وتفرح معي فرحاً أبدياً. لقد خلق الله الإنسان. ولو نعود إلى كيف خلق الله الإنسان ولو بحثنا عن السبب، فسنجد الكتاب يقول: «**وقال الله نعمل (أي نخلق) الإنسان على صورتنا كشَبَهنا**» (تك ١: ٢٦). أنت تعرف أن الابن لما يشبُّ يصبح على شكل أبيه، آخذاً شَبَهَه، فتقول: «هذا الولد شكل أبيه بالضبط يعني ابن أبيه. وشَبَهه تماماً». أي إنه خَلقَنا «**على صورته كشَبَهه**». وهكذا أَنتقِل بعقلكم الذكي الذي يقدر أن يفرِّق ما بين الخطأ والصحيح: في المسيح يسوع نحن أخذنا صورة الآب وأخذنا شَبَهه أيضاً. لاحظوا أنه لم يَقُل «**صَوَّره**» الله، بل **خَلَقَهُ** على صورة الله. كان يمكنك أن تسأل: هل هذه صورة مرسومة بالفُرْشاه؟ حيث يمكن لأي واحد أن يمسحها، فتُمسَح. يقول الشُرَّاح: إن هذه الصورة لم تُمحَ بل قد شَوَّهتها الخطية. ولكن **هل صورة الله يقدر أحد أن يشوِّهَها أو يمحوها؟** لا الخطية ولا الإثم ولا المعصية ولا أي شيء يعمله الإنسان يمكن أن ينزع الصورة بل هذا مستحيل. يستحيل لا الصورة ولا الشكل تكون قد مُحيت من الإنسان، صحيح أن الله غضب عليه، ولكن **هو هو الشيطان** الذي ذهب لحواء قائلاً: «أحقا قال الله: لا تأكلا من كل شجر الجنة»، فقالت: «من ثمر شجر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا». فقالت الحية للمرأة: «لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفَين الخير والشر» (تك ٣: ٤، ٥). والشيطان لم يكذب ففعلاً **من يأكل من هذه الشجرة يصير كالله عارفاً الخير والشر، وذلك حسب قول الله** (تك ٣: ٢٢).

معرفة الخير والشر وضياع الجنة من الإنسان

لكن الإنسان حينما عرف الخير والشر، فلا هو كان سيعمل الخير، كما أنه لا يقدر أن لا يعمل الشر، لأنه **لا يعرف أن يتحرر من الشر**. فبعد أن أكل من شجرة معرفة الخير والشر، بدأ يعرف الخير والشر. فإن عملت الشر أصبحت مملوكاً له، أي تصبح ابنه. مثل الابن الأصغر الذي لم يسمع كلام أبيه ولا أطاعه، حينما سأله أن يعطيه ميراثه فقال له أبوه: كل ما لي هو لك ولأخيك الأكبر فلماذا تريد أن تأخذ ميراثك قبل مماتي؟ كل ما لي هو لك، وأنت تأكل وتشرب معي. فصمَّم قائلاً: أنا أريد نصيبي. فقسَمَ (أي حدَّد له) نصيبه من الميراث وترك الابن البيت وانصرف. هكذا آدم أراد أن يأخذ ثمرة معرفة الخير والشر مثلما طلب الابن من أبيه ميراثه من الأرض والمال. ولما أخذ ما اشتهاه، ضحك عليه الشيطان الذي أغواه وجعله يصرف كل أمواله على بعَيْش مُسرِف، حتى فرغ ما معه ووصلت به الحال أنه كان يشتهي الخرنوب الذي تأكله الخنازير فلم تتركه الخنازير أن يأخذ طعامها، وصار مثل آدم الذي أراد أن يقتسم خليقة الله ويأخذها من الله بحسد إبليس وغوايته.

فقال الله له: أنا هو الخير وكل ما عندي خير، وليس في جنَّتي شرٌّ، بل كله ملكوتي، فلما أخذ ما اشتهاه، أي الشر، طرده الله، تماماً مثل الابن الذي طرد نفسه من جنة أبيه. وفي الواقع **إن آدم طرد نفسه**، لأنه طمع في «**خير**» الله، وذهب بعيداً عن الله، وهكذا أفقد بمشيئته وبحسد إبليس أهم شيء في حياته، ألا وهو «**محبة الله**» له، التي هي صورة

الله فيه ولكن ظلت «**محبة الله**» مشرقة على البشرية بأبرارها وأشرارها. وهكذا صار آدم تَعْباناً ونَدماناً واشتهى أن يرجع إلى جنة الله ولم يعرف، **لأن الشيطان أغلق عليه باب الرجوع عن العصيان**، أي صار فى **حَبْس العالم**، إلى أن افتقده الله هكذا: «**فليكُنْ فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً: الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسبْ خلسة أن يكون معادلاً لله**» (في٢: ٥، ٦)، فهو لم يفعل مثلما فعل آدم الذي اشتهى أن يختلس أن يكون مثل الله «**عارفاً الخير والشر**» (تك ٣: ٢٢). أما المسيح وهو فى حقيقته مُعادِل لله **ومساوٍ لله بالطبيعة**، إلا أنه رغم ذلك فعل عكس ما فعله آدم، إذ **أَخْلَى نفسه وأخذ صورة إنسان**، لكنه **لم يختلس صورة الله لأنه هو كذلك منذ الأزل، ولكنه أخذ صورة الإنسان ليُرجع لآدم مرة أخرى صورة الله وشَبَهَه.**

هذا هو ما عمله المسيح، إذ أخذ آدم وصعد به إلى السماء

هذا هو ما عمله المسيح، إذ أخذ آدم وصعد به إلى السماء، حيث أصبح نصيبه عند الآب بوعده: «**أنا أَمضي لأُعِدَّ لكم مكاناً**»، لأُعِدَّ لكم مكاناً فى صورة الله، ومكاناً في شَبَه الله، ومكاناً فى الحضن الأبوي: «...**لأُعدَّ لكم مكاناً، وإن مضيتُ وأعددتُ لكم مكاناً، إني آتي أيضاً وآخذكم إليَّ، حيث أكون أنا، تكونون أنتم أيضاً**» (يو١٤: ٢، ٣)، وهل للمسيح حضن إلا حضن الآب، وهل له صورة غير صورة الآب، وهل له شَبَه غير شَبَه الآب. وهكذا وَضَعَنا المسيح فى مصيرنا الأبدي

الذي كان فى فكر الآب منذ الأزل. وهكذا مُسحَ آدم وسيرة آدم وما عمله آدم (مخالفته للوصية)، وأَخَذَنا المسيح، يا آبائي، أخذنا إلى حيث قرَّر الآب: «**كما اختارنا فيه (في المسيح) قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قُدَّامه فى المحبة**» (أفسس١: ٤). وهكذا رجعنا مرة أخرى بصورة الآب (المسيح)، رجعنا إلى الصورة التى أعطاها لنا قبل تأسيس العالم.

أرأيت الرباط **ما بين الأزلية وما بين آدم الذي خُلق على صورة الله. يعنى مش تُصفِّق بيديك وتُهيِّص وتقول: "هللويا" كما يقولون!** بل هو الله الذي «**باركَنَا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قُدَّامَه في المحبة**». **وما هي البركة التي «باركنا بها في السماويات في المسيح»؟** إلا صورته التي أعطاها لنا لما جاءت الخلقة فى اليوم السادس حيث خلق آدم من تراب الأرض، ودبَّر أن يأخذه عنده. هل تصدق هذا أن الله يشتهي أن يأخذ آدم عنده؟ أي نصير أبناء الله؟ هذه كانت شهوة قلبه، نصيباً دبَّره الله لنا منذ ما قبل تأسيس العالم — أي منذ الأزلية – هذه الخطة الأزلية كانت قبل تأسيس العالم.

وجاء اليوم السادس وخلق الله الإنسان على حسب صورته «**على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى، خلقهم وباركهم**» (تك ١: ٢٧؛ ٥: ٣) ، ولتعرفوا أنه كان في تدبير الله أن يكون له أبناء، إذ كانت هذه شهوة قلبه: «**سَبَق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته**»

(«**عيَّنَنَا**» أي دبَّر قبل تأسيس العالم)، فعيَّنَا للتبني منذ الأزل. فلما خلق آدم أعطى له صورته، وأعطاه شَبَهه فانطبقت الخلقة تمام الانطباق مع شهوة ومسرة مشيئة الآب، التي تمت في خلقة آدم إذ خلقه على صورته، كشَبَهِه. هنا جاءت الهُوَّة ما بين آدم الذي أخطأ وطُرد بسبب مخالفته لوصية الله، وبين معرفة الشر. إذن، كان هو السبب. والسبب الثاني لأنه تراب. **لماذا أخطأ آدم؟** لأنه لم يقدر أن يبقى في الجنة إلى الأبد لأنه ليس خليقة سماوية بل هو مخلوق من تراب. فالتراب نَقْص في نَقْص. الخطايا والآثام كلها هي نقص.

التراب، وكيف صار الإنسان إلى التبني لله

طبعاً كان الله يعلم أنه يخلق تراباً ناقصاً ولكنه «**سبق فعيَّنَا للتبني**»، لأنه يعرف أن التراب ناقص، ولكن **سبق فعيَّنا منذ الأزلية للتبني**، وكان هذا «**حسب مسرة مشيئته**». **وما هي مسرة مشيئته؟** كان الله يريد حسب مسرة مشيئته أن يكون الإنسان إبناً مُتبنَّى، أي يعطيه موهبة «التبني»، ولكن ليس «ابن» من جوهر الآب، ولكنه ابن بالتبني. مثل رجل عظيم «لورد» أو «باشا» أي رجل كبير فى المقام، يأخذ طفلاً من الشارع ويتبنَّاه، أما هذا فهو من جنس البشرية، فتبنَّاه الله، تبنَّاه في المسيح يسوع (ابنه الأزلي) أي في محبة الابن وليس مجرَّد تبنِّي. لأنه يمكن أن هذا الرجل الذي تبنى هذا الولد أن يتخلى عن تبنِّيه لهذا الطفل لأنه «شقي» مثلاً أو لا يريده. **أما تبني الآب للإنسان فلا يمكن لأية**

قوة على الأرض ولا في السماء قادرة أن تخُرجنا من حِضْن الله الآب ولماذا؟ لأنه مُتَبني لنا فى المسيح يسوع ابنه الأزلي، الابن الواحد الوحيد معه في اللاهوت وفى كل شيء. فنحن نلنا التبني من الآب في المسيح، ما لا يمكن فكُّه بل هو يدوم إلى أبد الآبدين. تأملوا في هذا الارتباط العجيب بين التدبير الذي تم في الأزل، وبين خلقة الإنسان ومباركة الإنسان الذى خلقه في المسيح يسوع الذي تم في الزمن، معُطياً إياه التبني حسب مسرة مشيئته، ولماذا؟ لكي يقف قُدَّامه يُسَبِّحه «**لمَدْح مجد نعمته التى أَنعم بها علينا فى المحبوب** (أي المسيح)»، لكي نظل نمدح ونمدح. وهو يقول: «**قُدَّامَه في المحبة**». الملائكة ليسوا قُدَّامه في المحبة. نحن في الصفوف الأولى والملائكة في الصفوف التى تليها - إذا جاز القول - أي أننا نكون من المُسبِّحين أمام الآب إلى أبد الآبدين. وإلاَّ فكيف نكون **شركاء مجده** (يو١٧: ٢٢)؟ في مجد الآب الذي يحل علينا، ومجد الآب يحيطنا، ونصير فى حالة تهليل وتسبيح «**لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب**» (أف١: ٦)، أي نمجد الآب بسبب النعمة التى أعطاها لنا وهي (التي تعمل فينا) ليلَ نهار، وإلى الأبد. النعمة هي نعمة، إنها نعمة البُنوَّة في المسيح يسوع، فنظل نُمجِّد ونُسبِّح الآب إلى أبد الآبدين، وللمسيح المجد في السماء وعلى الأرض في خليقته المظلومة، البشرية التي أخذت من الآب الصورة والشَبَه، وأخذت التبنِّي يوم أن تبنَّانا في المسيح يسوع.

المزود هو السماء على الأرض

وُلد المسيح في المذود. والمزود هو **السماء**، «**الذي نزل، هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل**» (أفسس٥: ١٠). **وهكذا صارت السماء على الأرض!**

لقد نزل لكي يرفعنا إلى أعلى السماويات. نزل في جُحْرٍ على الأرض، فصار هذا الجحر **هو سماؤنا**.

لقد وُلد في مغارة، لكي نولد نحن في أعلى السماوات.

قمَّطوه بالخِرَق، لكي يسترنا هو بسِتْر المسيح. الابن حينما تجسَّد أخذ جسدنا، فقمَّطوه، الخِرَق التي قمَّطوه بها هي لنا سِتْر الآب، بل وفي مجد الآب.

رضع من ثدي العذراء لكي يُرضعَنا من ثدي السماء. هو رضع سبعة أو ثمانية أو تسعة أشهر، ونحن سنرضع من السماء إلى أبد الآبدين.

اليوم هو عيد الآب،
وعيدنا هو عيد عودة الابن الضال للآب

يوم الميلاد هو رجوع الابن الضال المطرود من بيته، أي رجوعه إلى بيت أبيه. اليوم، لما أخذ جسدنا فقد أرجعنا إلى بيت أبيه السماوي، وقال لنا:

أدخلوا، وأنا أُصالحكم بالآب. لم يعد هناك نزاع أو خصام مع الآب.

اليوم دخلنا إلى عيدنا، عيد استقبال الآب لابنه الإنسان حيث أَدْخله إلى بيته مرة أخرى.

قال للملائكة خُدام خلاصنا: كما قال الأب يوم رجوع ابنه الضال: «قدِّموا العِجْل المُسمَّن واذبحوه فنأكل ونفرح لأن **ابني هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوُجد**» (لو١٥: ٢٣، ٢٤).

أما الابن الأكبر، وهو يمثل اليهود المرفوضين، لما حزن واحتجَّ على احتفاء أبيه بأخيه الأصغر هكذا، ردَّ عليه أبوه: «...**لأن أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوُجد**» (لو ١٥ : ٣٢).

نحن كنا موتى فعِشنا، وآدم كان مطروداً ودخل بيته الفردوس مرة أخرى.

فاليوم هو عيد رجوعنا إلى بيت الآب.

وفي عيد الفرح هذا أتى بآلات الطرب، أي الأُذُن الحساسة الموسيقية السماوية، لذلك تهلل جمهور من **الجند السماوي** في هذا اليوم الذي وُلد فيه المسيح. **الجند السماوي** (لوقا ٢: ١٣) - وليس ملائكة - لها معنى حُلو جداً.

الجند السماوي هم جند الرب، هم المحاربون السماويون، يفرحون في

هذا اليوم لأن شماتة الجند الأرضي الشيطاني بسقوط آدم **قد انكسرت**.

لذلك فالجند السماوي كانوا فرحانين، لأن آدم رجع إلى بيت أبيه السماوي، فهلَّلوا قائلين: المجد لله في السماء، لأن الآب تمجَّد، لأننا نحن به قد تمجَّدنا، لأن المسيح قال: «**أنا قد أعطيتُهم المجد الذي أعطيتني**» (يوحنا ١٧: ٢٢).

يا لفرحة الأب بابنه الضال! ويا لفرحة الآب بالابن الذي كان ميتاً فعاش!

فاليوم هو عيد الآب، وعيدنا هو عيد عودة الابن الضال للآب.